

سُورَةُ الطَّلَاقِ

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]

القراءات: «مبينة»: قرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء وقرأ الباكون بكسرها.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (مبينة) بكسر الياء التحتية أي هي تبين لمن تبلغه أنها فاحشة عظيمة فإسناد التبيين إليها مجاز باستعارة التبيين للوضوح أو تبين لولاة الأمور صدورها من المرأة فيكون إسناد التبيين إلى الفاحشة مجازاً عقلياً وإنما المبين ملابسها وهو الإقرار والشهادة فيحمل في كل حالة على ما يناسب معنى التبيين. وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم مبينة بفتح التحتية أي كانت فاحشة بينتها الحجة أو بينها الخارج ومحمل القراءتين واحد. ووصفها بمبينة إما أن يراد به أنها واضحة في جنس الفواحش أي هي فاحشة عظيمة وهذا المقام يشعر بأن عظمها هو عظم ما يأتيه النساء من أمثالها عرفاً وإما أن يراد به مبينة الثبوت.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]

القراءات: «بالغ أمره» قرأ حفص «بالغ» بغير تنوين «أمره» بالجر وقرأ الباكون بالتنوين والنصب على الأصل.

التوجيه: قرئ بتنوين «بالغ» ونصب «أمره»، وقرئ بدون تنوين «بالغ»، وجر «أمره» على إضافة اسم الفاعل «بالغ» على مفعوله «أمره»، وكلاهما فصيح في اللغة.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعَدَّيْنِ ثَلَاثُهُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

القرءات: «يسرًا»، «بعد عسر يسرًا» قرأ أبو جعفر بضم السين في الجميع والباقون بإسكانها.

التوجيه: قراءة ضم السين لاتباع حركة الضم عليها لما قبلها سواءً الياء في كلمة «يُسْرًا» أو العين في كلمة «عُسْرًا»، وقراءة الإسكان للتخفيف لثقل توالي الضمتين، وهما استعمالان مشهوران عند العرب. ولعل وجهها بداية أن اليسر العظيم آتٍ من عند الله لتفريج العسر مهما عظم، وهو ما تدل عليه قراءة الضم «عُسْرٍ»، «يُسْرًا» وذلك لما يفيدته ثقل الضمة، وكذا العسر اليسير الذي يناسبه قراءة الإسكان لما يفيدته السكون من خفة.

قَالَ الْعَالِي: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُنَّ لِنُضِيقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]

القرءات: «وجدكم»: قرأ روح بكسر الواو والباقون بضمها.

التوجيه: قال ابن عاشور: والوجد: مثلث الواو [أي: في الواو الحركات الثلاثة؛ الضم والفتح والكسر] وهو الوسع والطاقة، وقرأه الجمهور بضم الواو وقرأه روح عن يعقوب بكسرها.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَكَاثِنٍ مِّنْ قَرِيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق: ٨]

القرءات: قرأ نافع وابن ذكوان وشعبة ويعقوب وأبو جعفر «نُكْرًا» وقرأ الباكون «نُكْرًا».

التوجيه: قراءة ضم الكاف لاتباع الكاف حركة الضم التي على النون، وقراءة الإسكان للتخفيف لثقل توالي الضمتين، وهما استعمالان مشهوران عند العرب، ولعل وجههما - والله أعلم - هو بيان تفاوت عذاب الأمم المهلكة، فمن كان أشد كفرًا وتكذيبًا كان عذابه أعظم وهو ما تفيدته قراءة «نكرًا» بضم الكاف، وقراءة الإسكان للدلالة على وجود أمم كافرة أقل تكذيبًا وكفرًا من أمم أخرى يكون عذابها أقل، وإن كان عذاب الله كله عظيمًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الطلاق: ١١]

القراءات: «يدخله»: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بالنون على الالتفات والباقون بالياء.

التوجيه: قراءة النون «ندخله» بنون العظمة تفيد عظيم النعيم الذي أعده الله للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقراءة الياء تفيد أن ذلك بيد الله وحده، يمن على من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ويعاقب بعدله، من يشاء وهو العزيز الحكيم.

